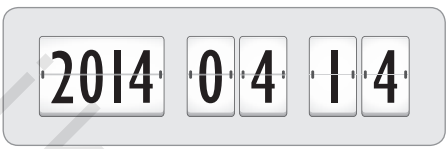

تابعت هيلاري تقول: انطوت سياسة الولايات المتحدة إزاء الاضطراب الحاصل في بلدان الشرق الأوسط على مساندة أنظمة معينة، وتأييد محتجين متظاهرين ضد أنظمة أخرى، ومع حلول ذلك التاريخ كان العداد قد سجل (465000) ميلًا في طائرتي البوينغ 757، مسافة أطول من المسافة التي كان أي وزير خارجية أمريكي قد قطعها في مدة مماثلة، وكنت قد زرت تسعة وسبعين بلدًا. كتبت مجلة تايم أن قدرتي على التحمل أسطورية، وأن من شأني أن أظل مثابرة في أواخر أيام عمل طويلة حتى بعد أن يكون أعضاء هيئة أركاني قد باتوا مشلولين. تمثل اللغز بقابليتي للنوم بحسب الطلب، في أي وقت ومكان، لأخذ غفوات قصيرة.

يا للعجب! فكرت. تستطيع أن تنام كلما أرادت أن تفعل. ليتني أستطيع، سيتعين علي أن أستفهم عن ذلك منها.

كذلك كنت أرى التغييرات السياسية المحتملة في الشرق الأوسط فرصة لإحداث تغيير أعمق في العالم. (تابعت تقول): فتمكين النساء، وهو أمر رأته مجلة نيوزويك موضوع اهتمامي الرئيس في الحياة، علقت على هذا في بلدان مثل مصر قائلة: «أي بلد لا يعترف بحقوق الأقليات وبحقوق الإنسان، بما فيها

حقوق النساء، لن ينعم بالاستقرار والازدهار الممكنين». في اليمن، تحدثت عن الرئيسة نجود علي وحملتها ضد الزواج القسري في سن مبكرة، لا أستطيع تصور إجبار ابنتي العزيزة تشلسي أو إجباري أنا على الزواج من غريب في الثانية عشرة من العمر أو أقل، لم أكن لأتردد في قتل الزبون!.

حول موضوع النساء والبنات، توسعت أكثر فأكثر، قلت إن حقوقهن كان هو المشروع غير المنجز في القرن الواحد والعشرين، كذلك زعمت أن لرخاء النساء في البلدان الأخرى تأثيرًا مباشرًا في المصلحة الذاتية الأمريكية، إنها صفقة كبرى بالنسبة إلى القيم الأمريكية والسياسة الخارجية الأمريكية ومصالحنا، غير أنها مهمة أيضًا بالنسبة إلى أمننا، حيثما تكون النساء محرومات من إنسانيتهن وطاقتهن، نكون أكثر عرضة لرؤية التطرف المفضي إلى تحديات أمنية بالنسبة إلينا جميعًا. كثير من العمل الذي قمت به في وزارة الخارجية خدمة لقضايا المرأة وحقوق الإنسان لم يكن لمجرد اهتمامي بالموضوع، وهو صحيح، بل لأني أراه سبيلًا لمضاعفة الأمن من أجل ضمان المصالح الأمريكية.

في زحمة هذه الفوضى كلها التي اشتملت أيضًا تعهدي بدعم الحكومة لليابان في أعقاب زلزال وتسونامي توهوكو لعام 2011م، عبرت في مقابلة كانت في منتصف آذار/مارس مع وولف بليتزر من أل سي إن إن، عن عدم اهتمامي بأن أكون وزيرة خارجية فترتين رئاسيتين، وزيرة دفاع فترة واحدة، نائبة رئيس جمهورية، أو مرشحة رئاسة جمهورية من جديد، شددت على عمق حرصي على منصبي الراهن؛ لأنه الموقع الأفضل الذي أستطيع الحصول عليه في أي وقت من الأوقات.

إلا أنني كنت منهكة من التعب جراء السفر المتواصل، مع عدم الالتحاق بركب الحلقة الداخلية الحميمة لأوباما، ومتطلعة إلى وقت أقل كثافة ضغوط، جنبًا إلى جنب مع الفرصة المناسبة للعمل والكتابة خدمة لقضية حقوق المرأة على الصعيد الدولي.